

مفاهيم القرآن

(55) رَبُّكُمْ الْأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى) (النازعات: 23 - 25). (قَالَ (لأي فرعون لموسى عليه السلام) لَتَنُ إِتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لِأَجْعَلَ لَكَ مِنَ الْمُسْجُوتِينَ) (الشعراء: 29). وقد بلغ به الاستبداد إلى أن يوجد الكبت في المجتمع ويقف دون يقظتهم ووعيهم، بحيث لو لمس فيهم ذلك نكّل بهم وعذبهم أشدّ العذاب: (قَالَ أَمَأَمَنَتُمْ لَهٗ قَبْلَ أَن ۖ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ رَبَّهُ لَكَابِيرٌ كُومُ الَّذِي عَلَّمَ كُومُ السَّحَرِ فَلَاسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَا قُطَّعَنَ أَيْدِي كُومُ وَلَا أَرْجُلَا كُومُ مِن ۖ خِلَافٍ وَلَا مِصْلَ لَبِيذِ كُومُ أَجْمَعِينَ) (الشعراء: 49). (قَالَ أَمَأَمَنَتُمْ لَهٗ قَبْلَ أَن ۖ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ رَبَّهُ لَكَابِيرٌ كُومُ الَّذِي عَلَّمَ كُومُ السَّحَرِ فَلَاقُطَّعَنَ أَيْدِي كُومُ وَلَا أَرْجُلَا كُومُ مِن ۖ خِلَافٍ وَلَا مِصْلَ لَبِيذِ كُومُ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَلَا تَعْلَمُونَ أَيْسَرْنَا أَشَدَّ عَذَابًا وَ أَبْقَى) (طه: 71). إن الحاكم الاستبدادي لا يتحمل حركات التوعية والإصلاح، ولذلك يتهم أصحابها بكلّ تهمة كما فعل فرعون بالنسبة لموسى - عليه السلام - ودعوته الإلهية المباركة حيث اتّهمه فرعون وأخاه بأنّه يطلب الزعامة: (قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْلَمَ مَا بِنَا وَأَجِدُوْنَا عَالِيَهُ آبَاءَنَا وَتَكُونُ لَكُمَا الْكِبَرِيَاءُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ) (يونس: 78). بل ينفر الناس عن أولئك المصلحين، وأصحاب الرسائل بأنّهم يريدون إشقاء الناس وخداعهم وتضليلهم: (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبَ وَأَبَى * قَالَ: أَجِئْتَنَا لِنُخْرِجَكَ مِنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى) (طه: 56-57). (قَالُوا ۖ إِنَّ هَٰذَا نَسَاحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكَ مِنَّا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِهِمَا) (طه: 63). وربّما يصوّر للناس وضعهم الأسود البائس تصويراً جميلاً ويلقّٰنهم بأنّ ما هم فيه من طريقة، هي الطريقة المثلى كما يقول ذلك عن لسان فرعون وملائته: (إِنَّ هَٰذَا نَسَاحِرَٰنِ يُرِيدَانِ . . . وَيَذَّٰهَبَا بِطَرَفَيْنِ فَتَكُومُ الْمَثَلَاتِ) (طه: 63). وقد يبلغ الاستبداد بالحاكم المستبدّ حداً يجعله يتوسّل بكلّ وسيلة للحفاظ على عرشه حتّى ادّعاء التديّن، والتستّر به، ونصب نفسه حامياً لحياض الدين مع أنّّه يريد في قرارة نفسه -؛ هدم الدين والقضاء عليه من جذوره، وربّما يتّهم من يريد إرشاد